العرب
الخميس 2020/02/20
السنة 42 العدد 11623

العراق محرقة الأدباء والمثقفين

المثقفون ينزلون إلى الشارع حتى لا يختطف كاتب آخر بعد مازن لطيف

باختطاف الباحث والناشر العراقي مازن لطيف ستكون موضوعة الاختطاف من قبل جهات مجهولة قد بلغت ذروة العنف مع استمرار انتفاضة الشباب العراقيين التي دخلت شهرها الخامس. وخطف المثقفين والناشطين العراقيين ظاهرة مستشرية في الشارع العراقي راح ضحيتها عدد كبير من الأدباء والإعلاميين والناشطين والأكاديميين في ظل صمت مريب.

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

إذا كان مفهوم السلطة بيّناً وواضحاً حتى في تلاوينها السياسية ومتغيّراتها الطبيعية أو القسرية. فإنّ مفهوم المثقف ملتبس بعض الشيء. وسيبدو غير واضح بما يكفي لتشخيص هذا الأنموذج النوعي. ولعل التعريفات المتعددة التي قالها مفكرون وأدباء ورجال دين متنورون تؤكد مثل هذا الالتباس. وربما أشهرها تعريف أنطونيو غرامشي للمثقف العضوي بوصفه أن وظيفة هذا المثقف لا يقوم بها كل الناس.

وبين المثقف الأصيل والتقليدي يرى علي شريعتي أن الأول هو الذي ينصهر في المجتمع ويعيش تجربته وهمومه وهو المعارض الدائم. وثمة من يرى أنّ المثقف هو المنتج الفكري والاجتماعي الذي يزعج السلطة بطروحاته وآرائه. وهو الناقد للدولة وأساليبها السياسية. ويرى إدوارد سعيد أن المثقف ليس نمطياً بل هو الموهوب في إطاره الجماعي والذي يطرح الأسئلة الصعبة ويأمل بأن الحلول السياسية والاجتماعية يجب أن تكون متكاملة.

هذه التعريفات التي تقبل الإضافات والاجتهادات وضعت المثقف عموماً في دائرة شخصية تُسلّط الأضواء عليها بشكل مباشر؛ مما يعني أن وجوده في جو سياسي معين يُعدّ خطراً وغير مرغوب فيه، وبالتالي فإن خطوط الرصد تتقاطع عليه دائماً، لا سيما في الأنظمة الدكتاتورية والثيوقراطية التي أنتجتها ما سميت بثورات الربيع العربي.

معاداة الثقافة

العراق الحالي أنموذج سيء لعلاقته بالثقافة والمثقفين. فهو يتحسب للثقافة والمثقف ويرى فيه (عدوّاً) جاهزاً في كل وقت. لذلك يسعى لمطاردة الأدباء والإعلاميين والناشطين والأكاديميين والناشرين والباحثين. وهذا ليس بالسر الخافي على أحد ، بقدر ما هو حقيقة مخيفة تواجه هذه النخبة بالقتل أو الخطف أو التسقيط أو السجن أو التغييب أو التعذيب.

صار واضحاً أن مثل هذه الحملات اشتدت بشكل مسعور مع بدء انتفاضة الشباب العراقي، تقودها ميليشيات مشكوك بولائها الوطني، وقد خرجت عن الأطر الديموقراطية والدستورية، فأوجدت لها أكثر من طريقة نافذة لوأد أصوات المثقفين العراقيين الذين ساهموا بشجاعة لرفد الانتفاضة من إحساس وطني فعّال في تنمية زخمها، كما يجري في العالم كله أن تكون الثورات المناهضة للسلطة الدكتاتورية بقيادات ثقافية تقوم بالتعبئة العامة وتثوير حس الانتماء الوطني بعيداً عن الطائفة والمذهب والتحزبات السياسية الفاشلة، حتى من دون النظر إلى حجم السلطة وإمكانياتها العسكرية والبشرية.

الخروج على الظلم مشروع وقائم بين الشعوب وليس بدعة ابتدعها العراقيون وهم يناضلون من أربعة أشهر لتقييد حركة السياسة والحزبية الضيقة، وإطلاق مشروع البحث عن الوطن المفقود. وهو ما داهم السلطة وجعلها تراجع الكثير من حساباتها.

في مثل هذه الأجواء الدخانية الملبدة، وضعت ميليشيات السلطة المثقف في دائرة الاتهام اليومي. فقُتل شعراء وروائيون وصحافيون وناشطون. وأختُطف آخرون مثلهم خاصة مع هذه الانتفاضة الجبارة. وما تزال هذه النكبات تتوالى يومياً وتتسارع لاصطياد المثقف العضوي والأصيل والمنتج والمعارض والرافض لفكرة الاستحواذ على السلطة من قبل قبيلة طائفية. وتطارد الفكر العلماني المدني والمجتهد الحر وأصحاب الوعي الخلاق والإرادة الوطنية بطريقة همجية أضعفت الدولة كثيراً فسارت الأمور على غير ما يجب أن تكون عليه.

تغييب مازن لطيف

آخر المختطفين هو الباحث والإعلامي والناشر مازن لطيف الذي هوجم أمام بيته وتلقفه مسلّحون غير معروفين منذ أكثر من أسبوعين من دون أن يحدد أحدٌ مصيره حتى الآن.

مازن لطيف مازال مصيره مجهولا

ولطيف الذي يشغل منصب رئيس قسم النشر والتأليف في شبكة الإعلام العراقي، هو صاحب دار نشر ميزوبوتاميا. وعضو جمعية الناشرين والكُتبيين في العراق، وعضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، وعضو مؤسس في ملتقى الخميس الإبداعي، ومدير تحرير موقع "نبراس الذاكرة"، والعامل في عدد من الصحف والمجلات العراقية. كما أصدر عدداً من الكتب البحثية المهمة أبرزها "علي الوردي والمشروع العراقي" و"المثقف التابع" و"يهود العراق.. تاريخ وعبر" و" مثقفون عراقيون.. حوارات نخبوية" و"العراق حوار البدائل" وغيرها من التآليف الثقافية والصحافية.

> ميليشيات السلطة وضعت المثقف في دائرة الاتهام اليومي وهي تخطف الشعراء والروائيين والصحافيين

وهذه الكتب البحثية تشفُّ عن وعي صاحبها في استدراك الواقع العراقي الجديد.

اختطاف هذا الكادر المثقف من دون مسوّغات قانونية وأخلاقية يضعنا أمام أمر واقعي ملتبس كثيراً. فالثقافة والسلطة عنوان يتجدد دائماً في الظروف السياسية المختلفة، حتى بوجود نظام ديمقراطي يُعتد به، وهما ضدّان لا يلتقيان منذ أن تمظهرت السياسة العربية في حلّتها الجديدة ما بعد ثورات الربيع العربي.

ونظن كثيراً أن العراق هو التجربة الأكثر خطأ في ممارسة الديمقراطية مع دكتاتورية الكهنة. لاسيما ما كشفه الحراك الشعبي الشبابي منذ مطلع أكتوبر الماضي.

شجاعة المثقف

لا شك أنه ومنذ اندلاع التظاهرات الشبابية حتى الآن لم تتوقف موجات الترهيب والتخويف والتخوين والقتل العشوائي. فقد فقدنا العشرات والمئات من الأصوات المثقفة ومن النخب والعلماء والمفكرين وأصحاب الفكر الحر في مثل هذه الحملات المجنونة ، مما يستدعي في كل مرة موجة عارمة من الغضب في الشارع الثقافي وإثارة العديد من الأسئلة في ضرورة حماية النوع الثقافي المتمثل بالشخصيات الراسخة والرافضة للنظام السياسي.

الفعل الإجرامي الذي تعرض له مازن لطيف لم يثن المثقفين من الوقوف الرمزي والاعتباري في ساحة كهرمانة احتجاجاً صريحاً على هذه الأفعال المشينة بحق الثقافة والمثقفين العراقيين. وهي ذات الوقفات المتكررة التي أدانت السلطة برموزها السياسية وأحزابها المسلحة التي استولت على مقاليد السلطة بشكل واضح.

لكن كما يبدو أن المثقف والأديب والمتنور وصاحب الرأي المضاد هو الحلقة الأضعف في هذا الوسط الغارق في الفساد والمعبأ بالأسلحة الكاتمة وغير الكاتمة. ويبدو أن الثقافة العراقية تواجه مخاضاً عسيراً أدخلها في أزمة كبيرة.

أخطر سؤال يمكن طرحه

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

درج الإنسان على طرح كل الأسئلة التي تعكس حيرته أمام تجليات الواقع، بحثا عن إجابة قد تكون مقنعةً للحظة، ثم تتناسل على إثرها أسئلة أخرى ولّدتها معطيات مستجدة.

وإذا كانت الفلسفة منذ القدم تحتفي بالأسئلة أكثر من احتفائها بالأجوبة حتى قيل إنها فنّ الأسئلة، فإن البشر، بلا استثناء، حتى الأطفال منهم، لا ينفكّون يوجّهون السؤال تلو السؤال، سعيا إلى فهم بعض الظواهر.

قد تكون الأسئلة بسيطة، ولكن أكثرها استعمالاً تكاد تنحصر في "أين؟"، "متى؟"، "كيف؟" وخاصة "لماذا؟" هذا السؤال نجده في قضايا المحاكم، وفي الاكتشافات العلمية، والمراجعات التاريخية، والتأملات الميتافيزيقية، والتحاليل الصحافية، مثلما نصادفه في حياتنا اليومية، دون أن يحمل دائما الدلالة نفسها. والطريف أن هذا السؤال يفتح على أجوبة متعددة، فأحيانا نبحث من خلاله عن السببية، وأحيانا نريد من ورائه تبرير معتقد أو قناعة، وفي أحيان أخرى نحاول أن نفهم سلوكا ما.

فهل لهذا التعدد في المعنى مرجعية مشتركة؟ وهل تتساوى كل الأسئلة المماثلة؟

من بين الأسئلة التي تمثّل أكثر أنماط التساؤل عمقا واستعمالا لكل من يرغب في فهم العالم، واكتشافه نجد "ماذا؟" وخاصة "لماذا؟" الذي يسكن حيرتنا الميتافيزيقية ومشاغلنا العملية. ومن عجب أن من بين الكلمات الكثيرة التي تسائل العالم، يبدو "لماذا" أكثرها استعصاء على الإمساك، فهو في صميم الثورة العلمية من غاليلي إلى ديكارت، قبل أن ينفتح على الجدل القائم بين أنصار "كيف" الذي تستعمله الفيزياء و"لماذا" القريب من الميتافيزيقا. لماذا ننام؟ لماذا نعمل؟ لماذا لا نحسّ بدوران الأرض؟ لماذا نرتاد الفضاء؟ لماذا نضحك؟ لماذا نتفلسف؟ لماذا نصادر الفكر الحرّ؟ لماذا نعاقَب؟ لماذا لا نعيش أبدا؟... وما إلى ذلك من أسئلة لا تنتهي على مدار اليوم والساعة، وتطغى على بقية الأسئلة حينما يغدو هدف التساؤل غاية نظرية لا تطبيقية. وكلها أسئلة تعبّر عن حلم قديم استبد بالإنسان، حلم حيازة معرفة لا تترك أيّ "لماذا" دون إجابة.

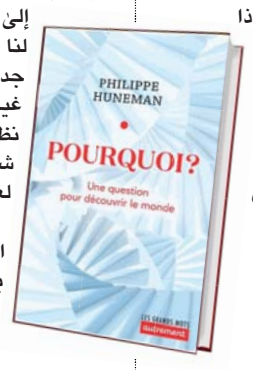

هذا السؤال العجيب هو موضوع كتاب بعنوان "لماذا؟ سؤال لاكتشاف العالم" يستدعي فيه مؤلفه فيليب هونمان الباحث المتخصص في فلسفة بيولوجيا التطور، العقلانيةَ الكلاسيكية التي مثلها ديكارت وسبينوزا وليبنتز، وحتى الأميركي ديفيد لويس أحد الوجوه البارزة في الفلسفة التحليلية المعاصرة، ليتصور نوعا من كونية مبدأ العقل مفاده أن ليس من العبث أن نتخيل أن كلّ عبارات "لأنّ" مرتبطة ببعضها بعضا، وأن كل التفسيرات يمكن أن تلتقي، فالأسباب المرتبطة بنتائجها، والأحداث المتصلة بآثارها يمكن أن تكون من نفس الجنس.

غير أن هونمان، سيرا على خطى كانط وهيوم ودراسات العلوم (وهو حقلٌ بحثٍ متعدّدُ المجالات يهدف إلى الإبانة عنّ الاشتغال الملموس للعلوم وتمفصلها مع بقية المجتمع، بالاستناد إلى علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والأنثروبولوجيا والتاريخ ومجالات أخرى من العلوم الإنسانية) ينتقد نزوعنا إلى دفع السؤال "لماذا؟" خارج حدود المعقول.

> العلم والفلسفة عاجزان بقدر كبير عن تخفيف استيائنا وعدم رضانا من الأجوبة خاصة لسؤال «لماذا»

والمفارقة أن البحث عن المعنى لا تلبّيه كثرة الأسباب وحدها، ما يحملنا على تخيل تفاسير شمولية، متسمة بالمثالية، ولكنها عبثية أو لا يمكن التأكّد من صحّتها. فهل يمكن التخفيف من استيائنا وعدم رضانا من الأجوبة؟ في هذه النقطة يعترف هونمان أن العلم والفلسفة عاجزتان بقدر كبير عن تحقيق ذلك، لأن كل مقترح ميتافيزيقي يمكن أن يقيَّم حسب تكاليفه وأرباحه الإبستيمولوجية، دون أن يدّعي أنه يمثل نظرية فريدة ونهائية عن سببية كل شيء.

وقد لاحظ المؤلف أن ذلك السؤال يستدعي علم تركيب الكلام قبل الدخول في الفروق التي يمكن أن توجد بين مختلف المعاني، والوقوف على حدودها، لأنه سؤال لا يؤدّي حتما إلى إجابة ما، حتى ليحقّ لنا أحيانا أن نتساءل عن جدوى طرحه، أو أن يوحي غياب الجواب كما في نظرية المؤامرة بوجود شيء يقع التستر عليه لغايات مضمَرة.

ولعلّ أهمّ ما في الكتاب أن مؤلفه عاد يستقرئ تاريخ الفلسفة بكل تياراتها ليجيب عن أسئلة كثيرة، منها ما هو كوني عامّ، ومنها ما هو فريد محدّد يخصّ مسائل بعينها، سبق للفلاسفة أن حاولوا الإجابة عنها، ليبين أن التفسير والفهم أمران متباينان. فأن نفسّر شيئا ما معناه أن نحاول إيجاد سبب، وبالتالي إدراجه ضمن قانون من قوانين الطبيعة. أما أن نفهم فمعناه أن نمسك بالواقع من وجهة نظر البشر التي نحن بصدد درسها، وكذلك أن نعرف كيف نعيد تشكيل مرجعياتهم في الفترة التي قضوا فيها حياتهم والمجتمع الذي انتموا إليه. ما يساعد على الاقتراب قدر الإمكان من وجهة نظر الفاعلين في العصور الغابرة.

انطلاق المرحلة الثانية من «شاعر المليون»

أبوظبي – انطلقت مساء الثلاثاء، فعاليات أمسية جديدة هي الافتتاحية للمرحلة الثانية من برنامج "شاعر المليون" في موسمه التاسع، حيث شهدت الأمسية التاسعة تنافسا حماسيا بين الشعراء.

وفي بداية الأمسية التاسعة رحب مقدما البرنامج الإعلاميان أسمهان النقبي وحسين العامري بأعضاء لجنة التحكيم،المؤلفة من الأستاذ والباحث والروائي سلطان العميمي، مدير أكاديمية الشعر في أبوظبي، والدكتور غسان الحسن، والشاعر حمد السعيد وعضوين من اللجنة الاستشارية للبرنامج، وهما الشاعر بدر صفوق والشاعر تركي المريخي، لتُعرض بعدها مقتطفات من الأمسيات الثماني التي خاضها المتسابقون.

ثم أعلن المقدمان عن نتائج التصويت من خلال موقع وتطبيق شاعر المليون لشعراء الأمسية الثامنة، وكانت النتائج لصالح الشاعر عامر بن فواز العجمي من الكويت، الذي تأهل بنتيجة 62 في المئة، ومحمد الحمادي العتيبي من السعودية بنتيجة 61 في المئة، لتكتمل بهما أعداد المتأهلين لمرحلة الـ24 شاعراً (المرحلة الثانية).

> الشعراء المشاركون تألقوا في المجاراة من خلال الموشحات وأبدعوا نصوصا نالت إشادة لجنة التحكيم والجمهور

وضمن منافسات الأمسية التاسعة والأولى في المرحلة الثانية من البرنامج، استمتع الجمهور في المسرح وخلف الشاشات بحضور أنيق للشعراء أحمد عايد البلوي وعناد الشيباني وعبدالمجيد سعود الغيداني من السعودية، ومحمد الشريقي من سوريا، ومزيد بن جعدان الوسمي من الكويت، وناصر بن خميس الغيلاني من سلطنة عمان، والذين تنافسوا في تقديم قصائدهم أمام أعضاء لجنة التحكيم وجمهور الشعر.

كما تألق الشعراء الستة في مجاراة "شويخ من أرض مكناس" في الفقرة الثانية، والتي نظم الشعراء خلالها أبياتاً لمجاراة مقطع من موشح اختارته اللجنة.

وختاماً للأمسية جاء الإعلان عن نتائج تصويت جمهور مسرح شاطئ الراحة وقرار لجنة التحكيم، حيث توزّعت نتائج تصويت جمهور المسرح كالتالي: مزيد بن جعدان الوسمي بنسبة 25 في المئة، وناصر بن خميس الغيلاني بنسبة 20 في المئة، وعبدالمجيد سعود الغيداني 19 في المئة، وعناد الشيباني بنسبة 14 في المئة، وأحمد بن عايد البلوي بنسبة 12 في المئة، ومحمد الشريقي بنسبة 11 في المئة. وتأهل بقرار لجنة التحكيم المتسابق عبدالمجيد سعود الغيداني بنتيجة 48 من 50، فيما جاءت نتائج بقية الشعراء الذين سينتظرون تصويت الجمهور طوال أسبوع كامل، على النحو التالي ناصر بن خميس الغيلاني بنتيجة 44 من 50، وأحمد بن عايد البلوي بنتيجة 43 من 50، وعناد الشيباني بنتيجة 43 من 50 وكل من محمد الشريقي بنتيجة 42 من 50، ومزيد بن جعدان الوسمي بنتيجة 42 من 50، حيث سيتم الإعلان عن المتأهلين منهم مطلع الحلقة القادمة.

كما تم الإعلان عن شعراء الأمسية العاشرة من "شاعر المليون"، وهي الأمسية الثانية ضمن المرحلة الثانية من البرنامج، وموعدها يوم الثلاثاء القادم الـ25 من فبراير، وهم: أحمد بن جدعان العازمي من الكويت، وبرزان السحيم الشمري من العراق، وحمود خلف القحطاني وخالد القصيري الجهني وزايد عايض الرويس من السعودية، ومبارك بالعود العامري من الإمارات.

عبدالمجيد سعود الغيداني أول المتأهلين